بسم الله الرحمن الرحيم

إسهامات العلماء المسلمين في مجال علم التاريخ

د. طارق محمد نورعلي

أستاذ مشارك دكتور بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الخرطوم

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم

(٣٥-٦٢)

المستخلص :

يقوم علم التاريخ على دراسة ماضي البشرية والأحداث المؤثرة في مسيرتها لذلك ظهرت الكتابات التاريخية منذ وقت مبكر في تاريخ الإنسان وكان اهتمام علماء المسلمين أيضا مبكرا في هذا المجال منذ أن بدأ اهتمامهم بالعلوم الإسلامية وتدوينها ، فاهتموا بتدوين سيرة النبي ﷺ وأخبار ما قبل البعثة وما تلاها من أحداث ومن ثم تطور علم التاريخ عندهم مستفيدا من مناهجهم في النظر للكون ومعالجة الخبر وصدق الرواية ودقة الاستنباط ، فقدموا إضافة حقيقية لعلم التاريخ والمادة التاريخية. وتأتي أهمية الموضوع من محاولته إماطة اللثام عن تلك الإسهامات التي قدمها العلماء المسلمون في مجال علم التاريخ. ودورهم في مجالات الكتابة التاريخية إن كانت حول تاريخ المسلمين أو التاريخ العام أو تاريخ المدن أو الأمم الأخرى وكذلك ما قدموه حول نقد علم التاريخ وتقديم منهجية وفلسفة علمية مبكرة ، كما تناولت الورقة نماذج لمن قدموا تلك الإسهامات الكبرى في هذا الشأن. بجانب الإشارة للإسهامات الحديثة لبعض المفكرين المتأخرين في فكر وفلسفة التاريخ عند المسلمين. استخدمت الورقة المنهج التاريخي. ومن أهم نتائج الورقة : أن إسهامات العلماء المسلمين كانت في تقديم المراجع الأولى والموثوقه للكتابة عن تاريخ الحقب التي تناولوها وظلت هي التي يؤخذ منها ويناقش حسب التطور في مناهج النقد التاريخي. وتوصي الورقة انطلاقا من أهمية هذا الجهد الكبير بإجراء دراسات متعمقة من الباحثين وتقديم دراسات أكثر دقة وشمولا حول هذه الإسهامات ومدى تأثيرها على مسيرة التاريخ الإنساني. وأهمية قيام مراكز علمية تشكل من مجموعات من المتخصصين والباحثين لاستمرارية البحث التاريخي حول إسهامات المسلمين وتعنى بتطوير أساليبهم للوصول إلى نهج علمي مبني على فكرهم في هذا العلم.

كلمات مفتاحية : التاريخ عند المسلمين ، فلسفة التاريخ عند المسلمين ، كتابة التاريخ عند المسلمين ، التدوين عند المسلمين ، الرؤية التاريخية للمسلمين.

Abstract:

History is based on the study of mankind's past and the events affecting its path. Therefore, historical writings appeared from an early age in human history also the Muslims sheared the same things form their early history in this field, since their interest in Islamic sciences began and their blogging, so they were interested in writing the biography of the Prophet, [may God bless him and grant him peace] and the news before the mission and the events that followed, and then the science of history developed for that, benefiting from their methods of looking at the universe, treating the news, the truth of the narration and the accuracy of deduction, they provided a real addition to the science of history and historical material. The paper deals with the interest of Muslims in this science. And their efforts in the fields of historical writing, whether they were about the history of Muslims, general history, or the history of cities or other nations, as well as what they presented about criticizing the science of history and presenting an early scientific methodology and philosophy. The paper also deals with examples of those who made major contributions in this regard. In addition to that, the paper refers to the recent contributions of some late Muslims thinkers to the field of history. The outcomes and results of the paper showed the contributions of Muslims scholars offering the basic and authentic historical data that can be examined with modern methodology of history. The paper recommends that more deep studies should be made and the importance of establishing scientific centers formed from groups of specialists and researchers for the continuity of historical research on the contributions of Muslims and concerned with developing their methods to reach a scientific approach based on their thought in this science.

Key words: History and Muslims, Philosophy of History and Muslims, Historical Writing and Muslims, Historical View of Muslims.

مدخل :

يحتل التاريخ موقعا مهما وكبيرا بين العلوم الإنسانية التي ليس لها غنى عنه لأن موضوعه هو حركة الإنسان في الزمن فكانت أهميته بالغة لايختلف اثنان حولها ، فهو الذاكرة التي يرجع إليها الناس للوقوف على أحوالهم الماضية ، وهو خزينة أفكارهم وثقافاتهم وما أبدعوه من الحضارة ، وما أحرزوه في مضامير السباق والتفوق والإبداع ، وربما يحدد عداوتهم وصداقتهم التي يقدرونها من الإرث ، وهو الذي يميز بني البشر عن سائر المخلوقات التي نشاهدها. ولعل الأمم التي شهدت قيام حضارات ومدنيات غابرة قد تعاملت مع التاريخ ، وبحثت فيه ، وتعلمت منه ، وتركت لنا إرثاً حول مباحث التاريخ.[1] فالإنسان لأسباب مختلفة ينحو نحو معرفة ماضيه كشخص أو أسرة أو قبيلة أو أي مجموعة من المجموعات البشرية. ولعل ذلك السؤال عن ماضي الإنسان اقتضته ظروف مختلفة مرتبطة بالإنسان نفسه وكانت مهمة الإجابة عن من أين جاء؟ هي المحور الذي دارت عليه محاور علم التاريخ والأديان والفلسفة بل تطور الأمر لمعرفة ماضي كل شيء لتحليله وفهمه والتعامل معه. ومن هنا يمكن القول إن الإنسان كائن تاريخي ، لذلك يتوجب الوقوف عند التاريخ لفهمه وتفسيره وذلك لكي يستطيع الإنسان الاستفادة منه.[2] هذا بصورة عامة ونحن باعتبارنا مسلين لنا هذا الاهتمام مثل كافة البشر بل نتعداهم في الاهتمام بهذا العلم وقد وقفت الشواهد العلمية دليلا على ذلك إذ لم يهتم المسلمون بتاريخهم فقط بل قدموا عصارة جهدهم في مسيرة علم التاريخ بوصفه علما له مناهجه وأصوله.

وعلم التاريخ الذي نتحدث عنه بتعريفه العام جاء الاستخدام فيه لمجالين أساسيين : الأول الأحداث التي شكلت ماضي الإنسانية. والآخر طرق البحث والتقصي

---

(1) Edward Hallett Carr, What Is History?, Macmillan 1969, PP. 10-27

(2) السابق ، ص : ٢٧.

التي وصلت إلينا عن طريقها معلومات تلك الأحداث أو الطرق التي وصفت بها.[٣] وهنالك العديد من التعريفات حول ذلك ولعل هذا هو أشملها.

هذا العلم الذي يتناول ماضي البشرية بغية معرفة الحاضر واستشراف المستقبل[٤] جعل من الإنسان يتأرجح بين لحظة ماضيه وحاضره وبين لحظة قادمة من المستقبل ، فهذه الحركة السريعة التي يمضي بها الزمن تجعل من العسير على الإنسان أن يمسك باللحظة الحاضرة فحسب.[٥] ولاشك أن المسلمين قد قاموا بدور كبير في الاهتمام بالتاريخ من حيث الدراسة والفهم والتدوين والتوثيق والتفسير. وترمي هذه الدراسة إلى الوقوف عند هذه المجهودات التي قام بها علماء المسلمين في مجال التاريخ.

مفهوم التاريخ ومعناه :

كما أشرنا فإن التاريخ هو دراسة الماضي لربطه بالحاضر لصياغة المستقبل ، وهو الأخبار عن الاجتماع البشري[٦] ، وهو **" الإعلام بالوقت "**[٧] ، وهو شعور الإنسان بالزمن ونضاله ليس من أجل البقاء كما في المناهج الغربية ولكننا هنا نرى أنه من أجل القيام بواجبه الذي خلق من أجله وهو عبادة الله في استعمار الأرض. ويرتبط التاريخ

---

(٣) دائرة المعارف البريطانية ، **" فلسفة التاريخ "** ،
https ://www.britannica.com/topic/philosophy-of-history,
12/12/2021 20 :02

(٤) لمعلومات أوسع حول هذا الموضوع انظر : مالك محمد المهدي ، **" مدخل للدراسات المستقبلية "** ، الراصد للدراسات الاستشرافية والرقمية ،
, 12/12/2021, 20 :20.https ://www.massarate.ma

(٥) Carr, op., P. 27

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الدار التونسية ، تونس ١٩٨٤م ، ص ٣٧.

(٧) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن زم التاريخ ، تحقيق : فرانز روزنثال ، دار الكتب العلمية :الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٦٨

بمجهود الإنسان ، فالفعل الإنساني هو الذي يحدد التاريخ ، فالتدوين والرواية الشفوية هي التي تحوي أحداث التاريخ ، وتنقل الحدث إلى دائرة النشاط التاريخي. قد تقع الحوادث دائماً ، وقد لا ينتبه إليها الناس ، ولا تدون ، ولا ترصد ، ومن ثم لا تدخل في دائرة ما هو مرصود تاريخياً.

لقد ارتبط التاريخ بالتدوين والتسطير ، فهو **" أسطورة "** بمعنى ما سطره الإنسان من أحداث ومن حكايات ، ومن هنا جاء اسم **" الأسطورة "** و**" الأساطير "** ، ومنها جاءت الكلمة الأجنبية " **story** " والكلمة " **storia** " وكلمة **history** و**histoire**.[٨]

أما كلمة التأريخ والتاريخ العربية فهي من **" الورخ "** أو **" الأرخ "**.[٩] وتذهب بعض المصادر إلى أن الكلمة ترجع إلى **" القمر "** أو إلى **" ولد البقر "**.[١٠]

ويقال الوريخة الأنثى من البقر ، ولعل الجامع هو التخلق والحدوث. ويقال أرخت الكتاب وورخته إذا وضعت عليه التاريخ. وجميع هذه التعريفات إنما تدور حول معنى تحديد الوقت والزمان ، ولا تعنى بفلسفة التاريخ ولا بفكره. والبعض يرى أن التاريخ من الكلمات العربية بينما يرى آخرون أن هذه الكلمة أجنبية.[١١]

والوريخة الأرض المبتلة ، واستورخت وتورخت ، وورخ وتورخ. ومنه أرض ورخة بمعنى ملتفة العشب. وورخ الكتاب وأرخه بيوم كذا بمعنى بين وقت تدوينه وكتابته. وجاء في مختار الصحاح أن أرخ التأريخ والتوريخ بمعنى تعريف الوقت[١٢] ، تقول أرخ الكتاب بيوم كذا وورخه بمعنى واحد.

---

(٨) فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة : الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٧ .

(٩) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مادة ورخ باب الخاء فصل الهمزة.

(١٠) نفسه ، احمد الياس حسين ، نحو مفهوم إسلامي لعلم التاريخ ، الجامعة الإسلامية العالمية ، الطبعة الأولى ، كولالمبور ٢٠٠١ ، ص ٦-٧.

(١١) الفيروزآبادي ، المصدر السابق ، مادة ورخ باب الخاء فصل الهمزة.

(١٢) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ،مختار الصحاح ، لبنان ١٩٨٦ ، [أرخ] ص :٥.

إن المحصلة التي يخرج بها الباحث من المعاني والاشتقاقات السابقة هي الحدوث أو الخروج إلى عالم الحس والمشاهدة ، فالقمر وولد البقر والشجر قد خرجت إلى دائرة التكون والحدوث خلال الزمن ، فمن هنا يكون التاريخ بمنزلة الحركة داخل الزمان. وهذا ما فطن إليه المتقدمون من المؤرخين المسلمين مثل الطبري الذي بدأ كتابه بالبحث في معنى الزمان.[١٣]

اهتمام العرب بالتاريخ قبل الإسلام :

لم يكن التاريخ عند العرب سوى أخبار متناثرة عن أيامهم وحروبهم وملاحمهم ، ولم تكن تلك الأخبار تنتظم في سلك واحد ، ولا يجمعها منهج علمي ولا نسق معرفي محدد ، إنها مجموعة أخبار عن مجتمع محدود في فكره وثقافته وقيمه ، لا تتعدى علومه أخبار الكهنة والعرافه والقيافة والعيافة والشعراء والمنجمين والأطباء وبقية من العارفين ببعض الكتب والأديان كالديانة الإبراهيمية الحنيفية التي ظل بعض العرب متمسكين بها من أمثال ورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت ، وجاءت بعض المعارف عند العديد من الشعراء العرب الذين سجلوا مجموعة القيم الخلقية التي تغنى بها العرب وامتدحوها.[١٤] نجد ذلك واضحاً في شعر لبيد بن ربيعة العامري الذي أدرك الإسلام وأسلم وحسن إسلامه :

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة وإمامها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم ... إذ لا يميل مع الهوى أحلامها
فاقنع بما قسم المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها[١٥]

وكذلك غير لبيد من الشعراء العرب.

---

(١٣) يوسف القرضاوي ، السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ، ص ٢٠٦.

(١٤) انظر : أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ج ١ ، تحقيق : إبراهيم عباس وآخرون ، دار صادر : الطبعة الثالثة ، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ٢٣.

(١٥) معلقة لبيد بن ربيعة ، ديوان العرب ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ٢٠١٢ ، ص ٧٩.

لقد كان العربي الجاهلي ينظر إلى العالم من حوله وفق رؤية الصحراء الممتدة بلا نهاية ، فهو ينطلق بتأملاته مع الكون الفسيح ، ومن هنا اتسم العربي بالتوق إلى الحرية ، ومحاولة النظر خلف الغيب المجهول ، وهذا ما جعله قابلاً للتوافق مع صوت السماء عندما جاءه من خلال الرسالة المحمدية. وعندما نزل الوحي ، تقبل العربي ذلك الوحي ، وتقبلت اللغة العربية ذلك الوحي ، وهنا حدث التمازج بين عالمي الغيب والشهادة. وقدم القرآن فلسفة جديدة للتاريخ ، وهي فلسفة تقوم على رؤية متكاملة للحياة والكون والإنسان ، وتقدم تصوراً متكاملاً للحق والخير والجمال.[١٦]

لذلك يمكن أن نذهب بالقول إلى أن العرب في الجاهلية كان حظهم من التاريخ روايات وأحاديث متناثرة حوتها الأشعار والخطب ولم تجد مادة التاريخ حظها لتصبح علما ذا قواعد عندهم واكتفوا بالرواية التي تعتمد الفخر فيما ينسب إليهم.

التاريخ عند المسلمين :

أما التاريخ عند المسلمين فقد أصبح ذا مغزى ، وذا هدف وغاية. لقد أوضح الإسلام مبدأ الخلق بالنسبة للكون والحياة والإنسان ، وأوضح الغرض من الخلق حيث بين أن الإنسان إنما وجد لعمارة الأرض ، وأنه جاء إلى الوجود لكي يعبد الله تعالى. أصبح التاريخ عند المسلمين تاريخاً لأمة ذات كتاب ورسالة بعد أن كانت أمة أمية. وأصبح تاريخاً للبشرية بأسرها بعد أن كان نقلاً لروايات محدودة في تاريخ أمة محدودة. وبرغم القيم المتعارف عليها عند عرب الجاهلية إلا أن تلك القيم تبدو باهتة جداً عند مقارنتها بالقيم الإسلامية الرفيعة.[١٧]

ويبين الإسلام بصورة واضحة الصراع بين الخير والشر منذ آدم وحواء ؛ فهما من جهة وإبليس من جهة أخرى ، ويحدد الدور المطلوب من البشرية خلال مسيرتها في هذه الدنيا. إن الإسلام يقدم كل ذلك في توافق وتواصل بين قيم الحق والخير والجمال ، وبين

---

[١٦] الفاروقي ، أطلس الإسلام ، ص ٣١١.

[١٧] الفاروقي ، السابق ، ص ٣١٢

الإنسان والكون والحياة ، وبين الكتاب المنظور والكتاب المسطور ، وبين الدنيا والآخرة.[١٨]

ويحدد الإسلام مصير الحضارات والمدنيات التي تقوم في هذه الأرض ، ويسرد القرآن كما تسرد الأحاديث الأخبار العديدة التي تؤكد مصير الحضارات المؤمنة والحضارات الكافرة. ويحدد القرآن الكريم كما تحدد الأحاديث ما يمكن أن نسميه باستشراف المستقبل ، وهذا واضح في كثير من النصوص القرآنية والحديثية التي تناولت جوانب الأخبار المستقبلية.

تبرز هذه القضية بصورة واضحة في محاولة سيد قطب تلمس جوانبها من خلال سورة الفجر ضمن شرحه لظلال هذه السورة حيث وقف مع السورة على أحوال الأمم السابقة مثل عاد وإرم وفرعون ، ثم وقف على أحوال النفس البشرية وخباياها ، ثم وقف على أخبار المستقبل الذي ينتظر البشرية. ويذهب إلى القول : **" أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله "**[١٩] تلك النظرة الشاملة العارفة ببواطن الأمور وخباياها لايمكن أن تتم إلا في إطار تصور علمي متكامل ، وهل يتأتى العلم المتكامل من غير وحي وكتاب ورسول؟ ، لا يمكن أن يتأتى ذلك للقصور البشري وقلة علمه أمام علم الله. لذلك تجد أن الفلاسفة الذين حاولوا تقديم تصور فلسفي للتاريخ وحركته قد عجزوا عن ذلك تماماً ، وخرجوا على الناس ببعض الأطروحات المحدودة التي لا ترقى البتة لتوضيح الصورة الكاملة لحركة التاريخ البشري.[٢٠] ويجمل سيد قطب ذلك بقوله : **" ... لبيان ما في تناول المؤرخين الغربيين**

---

(١٨) نفسه ، ص ٣١٤

(١٩) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، الطبعة الثانية والثلاثون ، القاهرة ٢٠٠٣. المجلد الأول ، ص ١١.

(٢٠) الفاروقي ، السابق ، ص ٣١٥

للتاريخ الإسلامي من نقص طبيعي في الإدراك ، ونقص طبيعي في الفهم ، ونقص طبيعي في الفهم والتصور... ".[٢١]

من خلال النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتضح معالم النظرة الإسلامية للتاريخ حيث تقوم تلك النظرة على منهج وفلسفة ، فالتاريخ لايمكن النظر إليه دونما فلسفة كما قال ندال : **" الفلسفة قبل كتابة التاريخ "**[٢٢] صحيح هذا القول الذي ذهب إليه نادال وقال به فولتير ، فالتاريخ لا يعني السرد المجرد للحوادث الحولية ، ولا يعني سوق القصص والحكايات التي تشبه الأحاجي والأحدوثات التي يراد منها التفكه والتندر وتزجية أوقات الفراغ والاستعانة بها على جلب النوم للصغار والكبار.

لقد جاء القرآن كما جاءت الأحاديث النبوية بأحسن القصص[٢٣] للعبرة والعظة والتنبيه الذي يحتاجه الإنسان في كل لحظة ، إن المهم هو تحديد شكل الفلسفة التي يكتب بها التاريخ فليس من الممكن كتابة التاريخ من وجهة نظر المادة والاقتصاد ووسائل الإنتاج فقط بالرغم من أهمية كل ذلك ، وليس من الصواب كتابة التاريخ من وجهة نظر المثآل والفكر المجرد الذي لا يتعامل مع الواقع المنظور والمعاش ، وليس من المقبول أن يفسر التاريخ من زاوية الحضارات والمدنيات المتعاقبة المتغيرة كأنها تتغير بصورة حتمية تلقائية دون فكر وبصيرة. إن حركة التاريخ كل متكامل يقوم على فكر وعقل وإرادة فاعلة مدبرة عالمة بما تفعل ، تعتمد مبادئ العلة والسبب والغاية والحكمة.

تقوم الفلسفة الإسلامية الناظرة للتاريخ على الشمول والاتساع والعمق. إنها نظرة تشمل الكون والحياة والإنسان ، وتجمع بين عالمي الغيب والشهادة ، وتصل بين الدنيا والآخرة ، وتأخذ في اعتبارها ماهو اقتصادي واجتماعي وسياسي. تقوم نظرة الإسلام لحركة التاريخ على العلية والسببية والإرادة السابقة التي تبعد عن العشوائية والفوضوية.

---

(٢١) سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ، دار الشروق : الطبعة الثامنة ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٣٩.

(٢٢) George H. Nadel, "Philosophy of History before Historicism", History and Theory 3/3 (1964), 291–315.

(٢٣) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية : ٣ وما بعدها؛ سورة الكهف ، الآية : ١٣ .

كما تقوم على مبدأ خلافة الإنسان وكرامته ، وتقوم على التناغم بين الكون المنظور وبين الكون المقروء وهو النص الموحى من عند الله تعالى.[٢٤]

إن النظر إلى التاريخ البشري لا يمكن أن يكون معزولاً عن النظرة الشاملة للكون والإنسان والحياة ، ولا يمكن أن يكون بعيداً عن النظرة المتكاملة للحياة الدنيا والآخرة ، ولا يمكن أن يتعلق بالشهادة دون الغيب. إن الفلسفات التي تعاملت مع فهم التاريخ بجزئية واختلال إنما فعلت ذلك لأنها لا تملك تصوراً متكاملاً للوجود ، ومن هنا جاء تصورها للتاريخ منقوصاً. لقد وضع الدين تصوراً حقاً وشاملاً وموسوعياً لحركة الوجود ، وجعل من الإنسان كائناً مكرماً يقوم بمهمة خطيرة على وجه الأرض وهي مهمة الخلافة والعمارة.[٢٥] وهذه المهمة الجليلة تجعل من الإنسان مسيطراً على الحياة وموجهاً لها ، ولكنه أحياناً كثيرة يبتعد عن هذا الدور الجليل والخطير ، ويجعل من نفسه تابعاً ومنقاداً للطبيعة وللحياة ، بل إنه أحياناً كثيرة يجعل من نفسه عبداً للطبيعة ، وهنا تنتفي كرامته ، وتتدهور منزلته السامية التي وضعه فيها الله تعالى. وهنا يتبدى الجرم الكبير وهو أن يرتد الإنسان من قمة التقويم الخلقي والخلقي إلى الحضيض الأسفل وهوحضيض الكفر والتغطية والعمى.[٢٦] إن النظرة الإسلامية إلى تفسير التاريخ جزء أصيل ومهم من العقيدة الإسلامية التي تجعل من الكون وما فيه ومن فيه عبادا لله رب العالمين ، وتجعل من الأحياء والأشياء عبيداً مربوبين لربهم سبحانه وتعالى ، وتعطي المولى عز وجل الألوهية والربوبية والحاكمية بصورة مطلقة وكاملة بلا تقييد ، في توحيد مطلق ، وهنا يأتي التمايز بين العبد والرب ، وبين الخالق والمخلوق. والعلاقة بين الرب والعبد تكمن في تنزيل الهداية والتوجيه والإرشاد بواسطة الرسل المرسلة ، والكتب المنزلة على العباد. والإنسان يعرف قدره ، فهو عبد وهو مخلوق ، وهو مسئول عن كل ما يقدم وما

---

(٢٤) عماد الدين خليل ، التفسير الإسلامي للتاريخ. دار العلم للملايين : الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٧-١١.

(٢٥) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآيات : ٣٠-٣٣.

(٢٦) { لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم ثم رددناه أسفل سافلين } [التين: ٣-٤].

يؤخر ، والمسئولية فيها التقييد نعم ، ولكنها تحمل معنى التشريف ، ومعنى الكرامة. إن النظرة الإسلامية للتاريخ تجعل من الإنسان ركناً مهماً في الكون لأنه يعرف من أين جاء ، وإلى أين يتجه ويسير.[٢٧] إنه يعرف دوره في هذه الحياة ، ويعرف مسئولياته وواجباته ، ويعمل وفق هذه المسئولية وهذه الواجبات ، ومن هنا يحوز إنسانيته وكرامته أولاً ، ثم يحوز رضوان خالقه في نهاية المرحلة وخاتمة المطاف ، ولعل التفسير الإسلامي للتاريخ كما أشار إليه عماد الدين خليل : " ... **التفسير الإسلامي الذي يستمد من رؤية الله التي تعلو على الزمان والمكان وتتجاوز موضوعات العصر النسبية فإنه ينظر بانفتاح تام إلى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحتها جميعا دون أن يقتصر على الأحمر أو الأخضر لتبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية** ... "[٢٨] ومن ثم يستوعب التفسير الإسلامي للتاريخ جميع المدارس الفكرية الفلسفية التي تناولت حركة التاريخ وذلك لأنه يجمعها في تصوره الشامل ونظرته المتكاملة ، إنه يرى البعد الاقتصادي في حركة التاريخ ، ولكنه لا يقف مأسوراً أمامه كما فعلت الماركسية. وهو يرى بعد السببية الفعالة القاهرة المتصلة بالحياة دون أن يكون أسير الفلسفات الميتافيزيقية المثالية البعيدة عن الواقع. وهو يرى تعاقب الحضارات وفق رؤية واضحة ، وسببية منطقية دون حتمية مادية قاهرة. وهو يرى أثر الإنسان الواضح في تحديد مسيرة التاريخ والحضارة ، ويرى دور الإنسان السلبي والإيجابي في رسم خارطة الحياة ، فالإنسان يغير الحياة بفعل تغييره لنفسه التي بين جنبيه ، ويجمع التفسير الإسلامي للتاريخ من ثم بين مفهوم وجود الإله " **لا إله إلا الله محمد رسول الله** " وما ترتب على ذلك من مجريات للأحداث للذين ساروا على ذلك النهج في الحياة وعملوا على نشر تلك المبادئ التي أقاموا عليها حياتهم واضعين نصب أعينهم المثل الأعلى محمد رسول الله ﷺ في فترة النبوة وتاريخ المسلمين في حياة الرسول ومن ثم ما ترتب على موته من خلافة

---

(٢٧) قَالَ الله تعالى (**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) [البقرة : ١٥٦].

(٢٨) خليل ، التفسير ، مرجع سابق ، ص ١١ .

وإمامة وما قامت عليه من حضارة كان الفاعل فيها حركة المسلم ومجتمه في إقامة العمارة في الأرض وما صحب ذلك من أحداث دونها علماء المسلمين في مجال التاريخ.[٢٩]

من الرواية والأخبار إلى التاريخ :

كما أشرنا سابقا فإن العرب في جاهليتهم قاموا بسرد الأخبار والقصص والروايات والأيام من خلال تجمعاتهم في الأسواق والأندية ، وانتقلت هذه الروايات إلى المسلمين عقب ظهور رسالة الإسلام.[٣٠] ولقد ظهرت المحاولات المبكرة لكتابة التاريخ في كتابة السيرة النبوية الشريفة[٣١] ، وظهرت فئة من العلماء الذين وقفوا أنفسهم على رصد السيرة النبوية بوصفها حركة تاريخية هادفة[٣٢] ، وجمعوها بغرض الإفادة منها في التشريع وفي التأسي والاعتبار بما وقع فيها من أحداث. وقبل ذلك فإن المسلمين قد اهتموا بتدوين القرآن الكريم وبكتابته منذ فترة مبكرة من تاريخهم حيث بدأت كتابة القرآن منذ العهد النبوي ، كما اهتم المسلمون بجمع الأحاديث النبوية منذ فترة مبكرة أيضاً.[٣٣] الأمر الذي يجعل من أن الاهتمام بالتاريخ عند المسلمين ضرورة دينية أوجدها حب المعرفة والتثبت عما دار من أمر الإسلام ووجد ذلك عضدا ونضوجا بما انطوت عليه علوم المسلمين في القرآن والسنة من التدوين والتثبت في التأكد من صحة الخبر ومكانه وفحواه وما ترتب عليه الأمر الذي شكل ميدانا خصبا لعلم التاريخ عندهم.[٣٤] فشهد التاريخ أكبر

---

(٢٩) خليل ، التفسير ، مرجع سابق ، ص ١٤

(٣٠) الأصفهاني ، مرجع سابق ، ص ٢٣

(٣١) عماد الدين خليل؛ حسن مظفر الرزو ، دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية الشريفة ، دار الرازي :الطبعة الأولى ، عمان ٢٠٠٤ ، ٣٦-٣٧.

(٣٢) فاروق عمر فوزي ، التدوين التاريخي عند المسلمين ، مركز زايد للتراث والتاريخ : الطبعة الأولى ، أبوظبي ٢٠٠٤ ، ٤٩-٥١.

(٣٣) راجع : السيوطي ، الإتقان؛ وانظر مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن.

(٣٤) محمد عبد الكريم الوافى ، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب. بنغازي. جامعة قار يونس ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ١.

المدونات التاريخية المحققة[٣٥] عن تاريخ الشعوب المسلمة ومن جاورها ومن عاصرها من الأمم والملل الأخرى. حتى انطبق عليهم قول روزنثال عندما وصف تطور علم التاريخ عند المسلمين بأنه : **" مرآة لأعظم نواحي النهضة الإسلامية تقدما "**[٣٦] ، إلا أنه يعتبر أن التاريخ عند المسلمين قد احتل مركزا أكثر تواضعا من العلوم الأخرى.[٣٧] وهذا لا يقلل من ما حوته كتب المسلمين الذين وصفت رحلاتهم أهم معالم العالم في الزمان الذي عاشوا فيه.

وقد أرخ للسيرة عدد كبير من العلماء المسلمين إلا أن ما وصلنا من رواياتهم في طيات طبقات ابن إسحق [توفي ١٥١هـ - ٧٦٩م] قد خرجت علما ناضجا عند ابن هشام صاحب السيرة المتوفى في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. ثم جاء الإسهام الحقيقي لعلم التاريخ عند المسلمين من مجموعات من المؤرخين الذين كتبوا في التواريخ العامة مثل الطبري واليعقوبي والمسعودي وغيرهم.[٣٨] وقد كان الدافع لهذا الاهتمام البالغ والمبكر عند المسلمين بعلم التاريخ هو كتابة السيرة وهي حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأنها هي حياة التشريع والتدين ، وهي حياة النموذج المتصل مع السماء ، وهي حياة تعبر عن مسيرة البشرية القاصدة إلى الله تعالى والمهتدية بهدي ربها سبحانه وتعالى. كان العلماء الأوائل من أئمة التابعين يعرفون دورهم الكبير في الرصد التاريخي لحياة رسول الله ﷺ ، ومن هنا قاموا بتلك المهمة الصعبة خير قيام ، ولم يكن الأمر مجرد رغبة في رسم الصورة النبوية وحفظها وإن كان هذا مطلوبا أيضاً. فالسيرة رصد لحياة المثل والنموذج الإنساني الذي نصبه الله تعالى قدوة للبشرية. وكان العلماء الذين جاءوا من بعدهم والذين اهتموا بجمع الأخبار والذين عرفوا بالأخباريين كانوا يلحظون جوانب العظة والاعتبار في

(٣٥) محمد عبد الكريم الوافى ، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب. بنغازي. جامعة قار يونس ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ١.

(٣٦) روزانثال ، المرجع السابق ، ص ٢٦٧.

(٣٧) السابق ، ص ٢٦٨.

(٣٨) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الجزء الثاني ، بدون تاريخ ، ص ٢٠٨.

الأخبار التي يروونها ، وهم في الغالب الأعم يتناولون أخباراً متخصصة في ميدان من ميادين التاريخ الإسلامي ، وعندما انتقل الدارسون إلى تدوين التاريخ العام[٣٩] والحوليات اهتموا بجمع الأخبار منذ بدايات الخليقة وذلك فهماً منهم لمصدر البشرية ولوحدة المصير الإنساني الذي بدأ منذ آدم عليه السلام. وعندما قاموا بذلك لم يكن لديهم مشاحة في استخدام كل الرصيد الإنساني المكتوب من قبل وإن كان كتابا لليهود أو النصارى أو من قبلهم. لقد لاحظ المؤرخون المسلمون الأوائل وحدة المصير الإنساني ووحدة الحركة التاريخية الإنسانية القاصدة إلى غاية محددة وفق المنظور الإسلامي. وقف المؤرخون المسلمون عند مفهوم **" الزمان "** ومعناه قبل حديثهم عن التاريخ وذلك لوعيهم التام بأهمية **" الزمان "** الذي يعتبر ضرورياً لشهود حركة الإنسان ، فالإنسان يتحرك ويتفاعل من خلال الزمان والمكان.[٤٠]

إن هذه المرحلة المبكرة مثلت التعامل الأولي للمسلمين مع التاريخ ، وهم يتعاملون معه يومها باعتباره وسيلة لفهم الدين والشريعة والنبوة والرسالة ، فما كان التاريخ بالنسبة لهم غاية في حد ذاته ، وإنما كان وسيلة لفهم الدين ومتعلقاته. ومن الطبيعي أنهم لم يأخذوه بفلسفة واضحة. بل إنهم كتبوه بطريقة الحوليات ، وجعلوه مفيداً ومهماً بالنسبة لدارس الحديث. كان التاريخ يومها يعني تاريخ الوفيات والمواليد لمعرفة صدق الرواة من كذبها.[٤١] وهكذا كان دين الإسلام وعقيدته هي المحور المحرك لعلماء المسلمين الذين جعلوا من علم التاريخ ميدانا لعملهم.

---

(٣٩) حسين ، المرجع السابق ، ص ٥٤-٥٥.

(٤٠) انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، ص ٣ ، النسخة الإلكترونية ضمن المكتبة الشاملة مأخوذة من موقع الوراق الإلكتروني. أورد الطبري حديثه عن الزمان تحت عنوان : القول في الزمان ما هو؟! وتحت عنوان : القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره!! كما كتب الطبري عن القول في الدلالة على حدوث الأوقات والزمان والليل والنهار ، وهل كان لله تعالى خلق قبل خلق الزمان ، والقول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار ، وحديثه عن أن الله تعالى قديم ، وأنه محدث كل شيئ.

(٤١) المنظومة البيقونية في علوم مصطلح الحديث.

فلسفة التاريخ عند المسلمين :

عندما بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في مجال العلوم بعد عهد الترجمة والعصور التي أعقبته تطور علم التاريخ واستكمل أصوله ومنهجه وفلسفته كعلم أصبحوا أصحاب السبق فيه قبل هيمنة الحضارة الغربية على قدم السبق في العلوم. وعند الحديث عن هذا المضمار دائما ما يقف الباحثون في العادة عند ابن خلدون الذي يعتبر أظهر من تكلم في فلسفة التاريخ بصورة واضحة.(٤٢)

لقد تميز ابن خلدون بالصرامة والقوة في تناوله للتاريخ ، وبالسببية القاطعة التي تعلل ، وتفسر ، وتدقق. لقد وقف ابن خلدون على ضرورة توفر بعض الأمور بالنسبة لدارس التاريخ تمثلت في المآخذ المتعددة لمن تناولوا علم التاريخ من قبل ، وأهمية الإلمام بالمعارف المتنوعة ، وأهمية المنهجية التاريخية في حسن النظر والتثبت ، والأهم البعد عن مجرد النقل دون الاختبار ، وقد وضع ابن خلدون أصولا منها تحكيم العادة ، ومراعات قواعد السياسة ، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، كما أعمل مفاهيم علم القياس في دراسة الغائب من الأمور بالشاهد ، ودراسة الحاضر بالذاهب ، وأهمية معرفة طبيعة الكائنات حتى لا يكون ما تورده من المادة التاريخية مفارقا لها كما تذهب الخرافه في ذلك ولا بد عنده من عرض الأحداث على الأصول ، ودراسة الأشباه والنظائر على أن ذلك الأمر لايمكن أن يقوم من غير استخدام الحكمة وهي الفلسفة القائدة لكل علم.

تبدو النظرة الفلسفية الواضحة القائمة على القياس والحكمة ومعرفة طبائع الكائنات والأصول والقواعد. لقد وضع ابن خلدون نظريته على قواعد السببية والعلية التي تحكم الحركة الاجتماعية البشرية. ومن هنا فإن الحركة التاريخية منطقية ومسببة ومعللة ، فهي تسير على مجموعة أنساق مطردة لا تتخلف ولا تتأخر. لقد وقف ابن خلدون على كثير من الأوهام التي وردت عند بعض مؤرخي الإسلام وبين ما فيها من خلل وقصور بسبب عدم قياسهم وعدم تحكيمهم لقواعد العادات والسياسات. لقد

(٤٢) انظر : محمد مصطفى محمد صالح ، **" كتابة التاريخ عند المسلمين "** ، مجلة التأصيل ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العدد الثالث ، الخرطوم أكتوبر ١٩٩٥م.

انتقد بعض الروايات التي كتبها المؤرخ المسعودي[٤٣] والبكري بسبب عدم تطابقها مع ما اشترطه في معيار قبول الرواية التاريخية.[٤٤] وهنا لابد من الإشارة إلى أن وضع القواعد والأحكام الضابطة في علم التاريخ ربما تختل قليلا عند التطبيق وذلك لأسباب تتعلق بالرواية التاريخية ومادتها نفسها وإلا شحت أو صعب على المؤرخ استخدام المادة التاريخية تماما لصعوبة تطبيق القواعد الصارمة. ومن ثم يأتي القبول بالتنازل من أجل القصة التاريخية ونقل ما يشاع حولها باعتبارها معرفة لم يتحقق منها بعد. وإن إغفالها تماما لعدم تطبيق قواعد القبول قد يخرجها من الذاكرة تماما.

لقد توقف ابن خلدون كثيراً عند قواعد كتابة التاريخ وروايته محاولاً وضع الضوابط والقواعد للمؤرخين للسير عليها بغرض حماية فن الكتابة التاريخية من الزيغ ، ولعله كان يشهد المعايب الواضحة التي قد تشوه مسيرة علم التاريخ خاصة وهو يعيش في حقبة امتازت بالتنافس المذهبي والسياسي ، لقد حاول تبيين الأسباب التي تؤدي إلى عدم الدقة في التعامل مع الرواية التاريخية فأجملها في مسألة التشيع للآراء والمذاهب. وعدم القدرة على الانتقاد والتمحيص بسبب الغطاء الذي يسد عين البصيرة. هذا فضلا عن الثقة بالناقلين ، ويرى أن تمحيص ذلك يرجع إلى الجرح والتعديل ، ولقد برع المسلمون بلا ريب في ميدان جرح الرواة وتعديلهم إلا أن ذلك لا يعني السلامة الكاملة من كل عيب في المنهج فهذا ما لا يتأتى للبشر. ويشير ابن خلدون إلى الذهول عن المقاصد وذلك في خضم الرواية التاريخية. الذي بدوره قد يقود إلى توهم الصدق ، ويأتي هذا من جهة الركون إلى تصديق الرواة.[٤٥] ولعل الأمر الذي أشار إليه ابن خلدون في الجهل

---

(٤٣) انظر المسعودي ، مروج الذهب ، ص ٨١ وما بعدها ، النسخة الإلكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

(٤٤) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة ، صفحة ٣ ، نسخة إلكترونية ضمن مجموعة المكتبة الشاملة.

(٤٥) انظر ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، النسخة الإلكترونية ضمن مجموعة المكتبة الشاملة ، الجزء السابع ، ص ٤.

بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع قد يكون أحد آفات البحث العلمي في التاريخ حتى اليوم ، وقد وقع فيه الكثير من مؤرخي العصور المتاخرة. ولعل من علل التاريخ التي أشار إليها ولا زالت تعتريه حتى اليوم تقرب المؤلف في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح ، وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك لأن النفوس مولعة بحب الثناء لا سيما عند كتاب القصر والدواوين الذين اهتموا بنقل الوقائع.

ولعل موضوع الجهل بطبائع الأحوال في العمران.[٤٦] الذي أشار إليه ابن خلدون قد أوضح فيه أهمية التاريخ بالنسبة للعمران البشري ، فجعل من التاريخ إخباراً عن الاجتماع البشري ، وهذا الإخبار لا يعني مجرد الرواية والتناقل الخبري فقط ، وإنما يعني التسجيل ومناقشة مجريات الحوادث البشرية في مختلف جوانب المجتمع البشري. وقد مزج ابن خلدون بصورة واضحة حديثه عن التاريخ وفلسفته مع حديثه عن أشكال المجتمعات البشرية.[٤٧] لقد وجدناه يبدأ حديثه في **" المقدمة "** عن العمران البشري بشكل عام ، ثم يخصص الحديث عن العمران البدوي ، ثم يتحدث عن الدول والخلافة والملك والمراتب السلطانية ، ثم يتحدث عن العمران الحضري ، ثم الصنائع والمعاش والكسب ، ثم يختم بالحديث عن العلوم واكتسابها وتعلمها.[٤٨] مقدما بذلك لوحة تاريخية متكاملة تتعامل مع كل الواقع وحركة الإنسان مهما كان موقعه في الزمن وما أنتجه. ويمكن القول إن ابن خلدون قد كان متقدما وسابقا في مسألة تفسير التاريخ ودوراته الحضارية وفق منظور السببية والعلية والأنساق المنتظمة له.[٤٩] وتعتبر هذه من

(٤٦) انظر ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مصدر سابق ، ص ٥

(٤٧) نفسه ، ص ١٣

(٤٨) ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص٢٣.

(٤٩) لمزيد عن دور ابن خلدون في التاريخ انظر : فيروز عثمان صالح ، **" منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون "** ، مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم ، العدد : ٢٤ ، الخرطوم ديسمبر ٢٠٠٦ ، ص : ٣٩-٧٣).

الأمور البدهية في التصور الإسلامي ، لقد أرجع التصور الإسلامي أمر الخلق والأمر إلى الله تعالى الذي بيده الأمر والتدبير ، ومن هنا فإن المسلم يجد الحركة التاريخية منسجمة ومتسقة تمام الانسجام والاتساق ، ويستطيع الغوص في التاريخ ليجد فيها العبرة المطلوبة.[٥٠] ولعله تجدر الإشارة هنا إلى القول إن ابن خلدون حصر نفسه تماما في الحتمية التاريخية.

لقد حاولت المدارس الفكرية المتباينة وضع تصور لحركة الكون والحياة والإنسان من خلال زوايا النظر التي اهتم بها رواد تلك المدارس وعرفوها وفهموها ، فمن مدارس مثالية ، ومن مدارس مادية ، ومن مدارس حضارية ، يذكر في هذا المضمار التفسير المادي للتاريخ الذي ذهب إليه كارل ماركس وفريدريك إنجلز[٥١] ، والتفسير المثالي للتاريخ الذي ذهب إليه من قبلهما الفيلسوف الألماني هيجل[٥٢] ، أما التفسير الحضاري فهو الذي قال به المؤرخ المشهور أرنولد توينبي. غير أن تلك المدارس تعاني من القصور والعجز بسبب أنها تعبر عن نمط فكري أيديولوجي محدد ، كما تعبر عن مراحل زمنية تاريخية بعينها. ثم حاول المفكرون الإسلاميون في فترات لاحقة الاهتمام بظاهرة الحضارة والتاريخ من خلال المنظور الإسلامي حيث وقفوا عند الآيات القرآنية التي تبحث في أصول الحضارة والمدنية ، وفي أسباب قيام الحضارات وأسباب سقوطها ، والقرآن الكريم يحوي الكثير من هذه الوقفات التي تعبر عن حال الأمم والشعوب الغابرة التي سادت حضاراتها ثم بادت.[٥٣] على النسق الذي سار فيه ابن خلدون الذي استلهمه بعض الكتاب والمفسرين في العصر الحديث لا سيما فيما وجد من الرصد الدقيق لتاريخ الأمم

---

(٥٠) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣٤

(٥١) Karl Marx, Contribution to the Critique of Political Economy, :Kerr publishers Chicago 1904, P. 10-11.

(٥٢) George, W.F. Hegel, Lectures on the philosophy of world History, Cambridge University press, Cambridge, 1975 P. 25-26.

(٥٣) خليل ، المرجع السابق. ١٩٨١ ، ص ٧.

ولعللها وأسقامها في أدبيات سيد قطب[٥٤] ، وعلى الرغم من أن كتابه جاء في التفسير إلا أنه أعمل منهج العلماء المسلمين فيه في تفسير القصص. وكذلك ورد في أدبيات كل من أبي الأعلى المودودي[٥٥] ، وأدبيات علي شريعتي ، وأدبيات محمد باقر الصدر[٥٦] الذي اهتم بحركة التاريخ من زاوية النظر المتصلة بالمثل الأعلى ، وهو ينظر إلى قضية النبوة والإمامة والخلافة باعتبارها المثل الأعلى الذي تسير على منهاجه البشرية في حركتها الدائبة والمتصلة نحو غايتها. وفي أدبيات أبي الحسن الندوي ، وفي أدبيات محمد إقبال ، وفي أدبيات حسن البنا ، ومن قبل ذلك وجدنا شيئاً من ذلك في أدبيات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا.[٥٧] كما وجدنا شيئاً من ذلك في كتابات مالك بن نبي الذي تعامل مع ظاهرة المركب الحضاري من وقت وتراب وإنسان. كما كتب محمد قطب **" كيف نكتب التاريخ الإسلامي "** و **" حول التفسير الإسلامي للتاريخ "** ، وكتب عبدالرحمن الخالدي **" خصائص التفسير الإسلامي للتاريخ "** ، وحول ذات القضايا المتصلة بفلسفة التاريخ كتب أنور الجندي وعبدالرحمن الحجي ومحمد السلمي ومحمد أمحزون ويوسف العظم.

ويبدو أن إسهام الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه **" السنة مصدراً للمعرفة والحضارة "** قد أعطى السنة النبوية جانباً لابأس به من دورها في فهم حركة التاريخ. لقد استنطق القرضاوي السنة النبوية حيث وقف على أحاديث أشراط الساعة وآخر الزمان ، وعلى أحاديث قيام الساعة عند ضياع الأمانة ، ووقف على بيان محمد رشيد رضا بأن لكل أمة ساعتها التي تذهب فيها قوتها وسطوتها ودورها الحضاري ، ووقف على الأحاديث التي تشير إلى انقلاب القيم والموازين خاصة تلك الأحاديث التي تشير إلى التطاول في

(٥٤) قطب ، مرجع سابق ، تفسير سورة الفجر.

(٥٥) راجع كتاب أبي الأعلى المودودي ، الخلافة والملك ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٧٨.

(٥٦) راجع محمد باقر الصدر ، فلسفتنا. دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٢١٣-٢١٥.

(٥٧) انظر : الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، تحقيق : محمد عمارة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٩٠-٩٤.

البنيان ، ووقف على الأحاديث التي تشير إلى المؤامرة الدولية التي ستحل بالمسلمين وأبرزها أحاديث تداعي الأمم على الأمة المسلمة كتداعي الأكلة على قصعتها ، كما وقف على كثير من أحاديث المبشرات وأشراط الساعة وغيرها.[٥٨] وربما جاء هذا الاهتمام في العصر الحديث من ثقل شعورهم بضعف واقع المسلمين الذي أصبح مقيدا بقيود الحضارة الغربية يتنفس عبرها فضاعت منه الهوية وتعثرت عنده معرفة القبلة ودخل بذلك في أتون الشك والتردد وأصبح قاعدا تابعا قابعا ليس له من الأمر شيء.

إن الاهتمام الذي حظيت به قضية التفسير الإسلامي للتاريخ في عصورنا الحديثة والمعاصرة لايمكن أن يقارن بما قام به الأولون من مؤرخي الإسلام الذين اهتموا بذلك وقدموا مجهودات ضخمة في الرصد الحولي والتدوين الإخباري للحوادث. أما العمل الأبرز في العصر الحديث فهو ما قام به الأستاذ عماد الدين خليل في كتابه **" التفسير الإسلامي للتاريخ "**[٥٩] فقد استنطق الآيات القرآنية التي وردت فيها الإشارة إلى هذا الموضوع وقدم عملا جليلا أشبه بتفسير قرآني للتاريخ ، وله محاولات أخرى لتخطيط دراسة التاريخ وفق رؤية محددة طرحها من خلال بعض كتبه ، وأشار إليها في بعض محاضراته. ولعل من أهمها تصنيف **" دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية الشريفة "**.[٦٠]

(٥٨) يوسف القرضاوي ، مصدر سابق ، ص ٩٩ وما بعدها.

(٥٩) خليل ، المرجع السابق ، ص ٧.

(٦٠) خليل؛ الرزو ، دليل التاريخ والحضارة ، مرجع سابق.

نماذج لكتب التاريخ عند المسلمين :

لقد بلغ ما أسهم به علماء المسلمين من كتب من أهمية أنها أصبحت مرجعًا لكتب التاريخ الحديث ، وهي الكتب الأكثر شهرة ، والأعم حديثًا ، ولعلنا نتناول هنا بعضا من أمهاتها. وفي طليعة كتب التاريخ الإسلامي يأتي كتاب الطبري.

تاريخ الطبري : هو الاسم المشهور لكتاب تاريخ الأمم والملوك ، حيث كتبه محمد بن جريرٍ الطبري ، كما يعدّ تاريخ الطبري بأنه ذو شان عظيم في كتابة التاريخ ، وذلك نظرًا لكونه أول مرجعٍ تاريخيٍ شاملٍ من نوعه ، ثم إنه مرجعٌ لكثيرٍ مما وضع بعده من كتب التاريخ ، خاصةً في الفترة التي تحدث عنها كتابه ، وهو على ذلك واحد من أهم كتب التاريخ الإسلامي عامة والتاريخ على وجه العموم.

كتاب الكامل في التاريخ : وهوالمعروف بتاريخ ابن الأثير ، لصاحبه علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ، وهذا الكتاب كما يقول صاحبه في مقدمته ، جامعٌ لتاريخ وأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، ويذكر فيه الحوادث والمخلوقات منذ بداية الزمان بشكلٍ متسلسل.

تاريخ ابن خلدون : سبق وقد تناولت المقالة ابن خلدون في جانب فلسفة التاريخ وهو الاسم الشائع للكتاب المعنون **" بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "** ، كتبه عبدالرحمن بن محمدٍ بن خلدون ، الشهير بابن خلدون ، ولعل أكثر ما يشتهر من هذا التاريخ مقدمته ، ويقول ابن خلدون عن كتابه هذا إنه ذكرٌ لكل الأخبار والأحوال ، حيث ربطها بآثار العمران بغية العظة والاعتبار.

البداية والنهاية : وهو كتاب التاريخ لعماد الدين إسماعيل بن كثيرٍ الدمشقي ، أبو الفداء ، ويعد كتابه البداية والنهاية واحدًا من أشهر وأهم كتب التاريخ الإسلامي ، ويروي ابن كثير فيها التاريخ منذ بداية الخلق حتى وقته وزمانه ، ويعرض فيه صفة الجنة وصفة النار.

تاريخ الإسلام للذهبي : وهو كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، وهو قطعًا من أهم كتب التاريخ الإسلامي ، وضعه شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ويمتاز هذا الكتاب بأنه اشتمل على التاريخ والتراجم في نفس الوقت.

كتاب البحرية لبري ريس : كتب باللغة التركية ، وترجمه محمد حرب ويقول في مقدمة الترجمة : أشبه برحلة بحرية حول العالم ، ويجمع بين خصائص كتب الرحلات ، وأسلوب كتب الجغرافيا الملاحية ، وشيئا من ملامح المذكرات ، وبعضاً من المعلومات التاريخية. يعتبر من أهم مؤلفات المسلمين في عهد الدولة العثمانية.[٦١]

رحلة أولياء جلبي : أوليا جلبي بن درويش محمد أغا ظلي المعروف بلقبه أوليا هو رحّالة ومستكشفٌ عثماني سافر عبر أراضي الإمبراطورية العثمانية والأراضي المجاورة على مدار أربعين عامًا ابتدأها عام ١٠٤٠ هـ - ١٦٣٠م من إسطنبول ، حيث دوّن مشاهداته في رحلاته في كتابه المعروف **" سياحت نامه "** في عشرة أجزاء. وقد قام برحلاته بصورة شخصية أحيانا ، وفي مهمات رسمية أحيانا أخرى. وقدم العديد من المعلومات التاريخية المهمة.[٦٢]

(٦١) Piri Reis, Kitab-ı Bahriye, Türk Tarih Kurumu, Ankara 1935.

(٦٢) Evliya Celebi, Seyahatname, Yapi Kredi Yayinlari, Istanbul 2010.

الخاتمة :

لما كان علم التاريخ من أجل العلوم عند الإنسان بصورة عامة والمسلمين بصورة خاصة ذلك لارتباطه بحركتهم منذ تنزل الوحي فخلق عندهم اهتماما مستمرا بكل الوقائع التي أحاطت بالنبوة وما سبقها وما ترتب عليها. ولم يتوقف الأمر عندهم عند مدركات الأحداث وتوريخها بغية المعرفة والتبرك بل تجاوزوا ذلك لوضع أسس لهذا العلم وقاموا بالتأليف فيه ليس على إطار محيطهم الخاص بل تعدوا ذلك إلى كل جوانب التاريخ العام والخاص وتاريخ المدن والأصقاع والأمم السابقة منذ بدء الخلق وظهور الإنسان على الأرض. فحوت كتاباتهم أهم المعالم في أحداث التاريخ ووصفت رحالاتهم أهم معالم العالم في الزمان الذي عاشوا فيه بل كان إسهامهم الأكبر في نقد التاريخ ووضع مناهجه التي تضاهي المناهج حتى اليوم. ولعل نقد التاريخ وتحليله واستلهام العبر منه غاية ما برع فيه العلماء المسلمون مستهدين في ذلك بمقاصد القصة القرآنية ومناهج أهل الحديث وفكر أهل الفقه وعقلية أهل الكلام والفكر فخرج علما مكتمل الجوانب أخرجوه من أتون الخرافة والأساطير للحقائق والمنطق ومن ثم استشرفوا به المستقبل. العلم الذي ظل حتى الآن طريا جديدا يبحث لنفسه موقعا بين العلوم الاجتماعية الحديثة.

إن ما قدم من معلومات تاريخية في تلك المراجع الضخمة التي خطها كتاب التاريخ منذ وقت مبكر ظلت تحتكر أهم ما كتب منذ القرن الثامن وحتى القرن السابع عشر بعد أن تراجعت الحضارة الإسلامية عن مضامير السباق ورضيت بالتعلق بالقديم والافتتان بالمتفوقين من الدول الأخرى التي أخذت بأسباب العلم وتطورت في شتى المناحي بما في ذلك علم التاريخ الذي أصبح اليوم فنا وعلما غربيا خالصا ولكن لا يمكن له بأي حال أن يغفل عن كتابات المسلمين المبكرين في هذا المجال. ستظل كتابات الطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن بطوطة وأولياء جلبي وحاجي خليفة وبري ريس وغيرهم من علماء المسلمين المراجع الأولى للكتابة عن التاريخ فالمادة التاريخية التي أخرجوها في كتاباتهم هي المصدر الموثوق يؤخذ منه ويناقش حسب التطور في مناهج النقد والاستقصاء والوصف التاريخي.

هذا الجهد الكبير في أمس الحاجة لدراسات متعمقة من الباحثين لتقديم دراسات أكثر شمولا ودقة حول هذه الإسهامات ومدى تأثيرها على مسيرة التاريخ الإنساني. ولعل التوسع في مناهج البحث الذي يمكن أن تقوم به مراكز علمية متخصصة يقودها كبار الباحثين مع مجموعات من الدارسين الجدد يمكن أن تشكل مجوعات لديها استمرارية في البحث التاريخي وتقديم مدرسة تاريخية تعكف على هذا الإرث بغية تقديم دراسات موثوق فيها يتم البناء عليها فيما أشكل وتشابه من المادة التاريخية وتقديم الفائدة للدارسين والباحثين والمهتمن ولنفع البشرية جمعاء.

المصادر والمراجع :

[١] ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الدار التونسية ، تونس ١٩٨٤ .

[٢] ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري ، السيرة النبوية ، دار المعرفة ، بيروت .

[٣] الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، كتاب الأغاني ، ج ١ ، تحقيق : إبراهيم عباس وآخرون ، دار صادر : الطبعة الثالثة ، بيروت ٢٠٠٨ .

[٤] أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الجزء الثاني ، بدون تاريخ.

[٥] حسين ، أحمد الياس ، نحو مفهوم إسلامي لعلم التاريخ ، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ، الطبعة الأولى ، كوالالمبور ٢٠٠١ .

[٦] خليل ، عماد الدين ، التفسير الإسلامي للتاريخ ، دار العلم للملايين : الطبعغة الثالثة ، بيروت ١٩٨١ .

[٧] خليل ، عماد الدين ؛ حسن مظفر الرزو ، دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية الشريفة ، دار الرازي :الطبعة الأولى ، عمان ٢٠٠٤ .

[٨] الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ،مختار الصحاح ، لبنان ١٩٨٦ .

[٩] روزنثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة : الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٣.

[١٠] السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٦.

[١١] سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ، دار الشروق : الطبعة الثامنة ، القاهرة ٢٠٠١.

[١٢] السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ،مؤسسة الرسالة ، دمشق ٢٠٠٨.

[١٣] شريعتي ، علي ، الأمة والإمامة ، دار الأمير ، الطبعة الثانية ، بغداد ٢٠٠٧.

[١٤] صالح ، فيروز عثمان ، **" منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون "** ، مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم ، العدد : ٢٤ ، الخرطوم ديسمبر ٢٠٠٦ ، ص : ٣٩-٧٣)

[١٥] صالح ، محمد مصطفى محمد ، **" كتابة التاريخ عند المسلمين "** ، مجلة التأصيل ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العدد الثالث ، الخرطوم أكتوبر ١٩٩٥م.

[١٦] الصدر ، محمد باقر ، فلسفتنا ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، بيروت ٢٠٠٩.

[١٧] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، النسخة الإلكترونية ضمن المكتبة الشاملة مأخوذة من موقع الوراق الإلكتروني.

[١٨] عبده ، محمد ، الأعمال الكاملة لمحمد عبده والأفغاني. تحقيق : محمد عمارة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٣.

[١٩] الفاروقي ، إسماعيل راجي ولويس لمياء الفاروقي ، أطلس الحضارة الإسلامية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ١٤١٨

[٢٠] فوزي ، فاروق عمر ، التدوين التاريخي عند المسلمين ، مركز زايد للتراث والتاريخ : الطبعة الأولى ، أبوظبي ٢٠٠٤.

[٢١] الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٨.

[٢٢] القرآن الكريم ، سورة يوسف؛ سورة الكهف؛ سورة القصص ، وسورة النمل.

[٢٣] القرضاوي ، يوسف ، السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ٢٠٠٢.

[٢٤] قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، الطبعة الثانية والثلاثون ، القاهرة ٢٠٠٣.

[٢٥] المسعودي ، مروج الذهب ، النسخة الإلكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

[٢٦] معلقة لبيد بن ربيعة ، ديوان العرب ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ٢٠١٢.

[٢٧] مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة [ب ت].

[٢٨] المهدي ، مالك محمد ، **" مدخل للدراسات المستقبلية "** ، الراصد للدراسات الاستشرافية والرقمية ، https ://www.massarate.ma/

[٢٩] المودودي ، أبو الأعلى ، الخلافة والملك ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٧٨.

[1] Carr, Edward Hallett, What Is History ?, Macmillan 1969.

[2] Encyclopedia Britannica, History, https://www.britannica.com.

[3] Evliya Celebi, Seyahatname, Yapi Kredi Yayinlari, Istanbul 2010.

[4] Hegel, G. W. F [1975] Lectures on the philosophy of world History, Cambridge : Cambridge University press.

[5] Marx, K. [1904], A Contribution to the Critique of Political Economy, Chicago :Kerr publishers.

[6] Piri Reis, Kitab-ı Bahriye, Türk Tarih Kurumu, Ankara 1935.